(الباب الخامس فى المقامات)

المقامة العاشرة وتعرف بالكوفية

حكى سهيل بن عباد قال كلفت منذ الصبا بعلم الادب وشغفت[1] باستقراء لغة العرب فكنت أنضى[2] اليها المطايا[3] وأتفقد الجبايا فى الزوايا حتى كنت يوما بالكوفة[4] وأنا أتعهد[5] معاهدها المألوفة وأشهد[6] مشاهدها الموصوفة فمررت بعصبة[7] من العلماء كأنهم من بنى ماء السماء[8] وهم قد جلسوا الى شيخ أغبر الشيبة أبلج[9] الهيبة وهو يشير تارة بالبنان وطورا بالصولجان فجعلت أروح تلقاءهم وأجىء وأقول ليس هذا بغيتك فادرجى[10] حتى حدتنى[11] القطربة[12] على الاشعبية[13] فالقيت دلوى فى الدلاء[14] طمعا فى اجتلاء الجلاء[15] وتطفلت على تلك الحضرة الجلى[16] وان كنت من عبس وبولى[17] فلما تخللت المقام حييت القوم بالسلام وتفرست فى الشيخ فاذا هو ميمون بن خزام فقلت لله الامر كله قد عرف النخل أهله[18] وجعل القوم يخوضون فى حديث العربية ومسائلها الاعرابية حتى حلت الحبى[19] وبلغ السيل الزبى[20] والشيخ ينظر من طرف خفى الى الناس والقلم فى يده يجرى على قرطاس[21] الى أن نفد ما عند الجماعة[22] من أسرار الصناعة وهم يرون أنه يلتقط اللآلى

---

(١) مجهول شغف من قولهم شغفه الحب أى بلغ شغاف قلبه وهو غلافه (٢) تتبع (٣) أى أهزلها بكثرة السفر (٤) الركائب (٥) مدينة بالعراق (٦) أتفقد (٧) أحضر (٨) محاضرها (٩) جماعة ما بين العشرة الى الاربعين (١٠) هى ماوية بنت عوف بن جشم وقيل بنت ربيعة الغنوى وهى أم المنذر ملك العراق وكانت تلقب بماء السماء لجمالها (١١) ظاهر (١٢) اذهبى وهو مثل يضرب لمن يريد الدخول فيما ليس من أهله (١٣) أى حملتنى (١٤) نسبة الى قطرب وهو محمد بن المستنير كان يبكر الى سيبويه ليأخذ عنه علم النحو فكان سيبويه كلما فتح بابه وجده لدى الباب فقال ما أنت الا قطرب ليل فلقب بذلك والقطرب ذباب يطير بالليل ولا ينام (١٥) نسبة الى أشعب وهو رجل من أهل المدينة كان مولى لعثمان بن عفان وكان يكنى بابى العلاء توفى سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان شديد الطمع حتى ضرب به المثل فيقال هو أطمع من أشعب يقول سهيل ان الرغبة فى العلم حملته على الدخول فى الطماعية الاشعبية (١٦) أى بين الاولاء وهو مثل يضرب للدخول مع الناس فيما هم عليه (١٧) استكشاف الامر الجلى (١٨) تأنيث الاجل (١٩) أدبر (٢٠) مثل يضرب عند وصول الامر الى أهله وأصله أن بنى عبد القيس سارو يطلبون السعة والريف حتى بلغوا أرض هجر والبحرين فوجدوا بلادا أفضل من بلادهم فنزلوها هنالك وجاورو ابنى اياد والازد وشدوا خيولهم بكرانيف النخل وهى ما يبقى فى جذوعه بعد قطع السعف فقالت اياد عرف النخل أهله فذهبت مثلا (٢١) جمع حبوة وهى أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بيديه فى جلوسه يكنى بذلك عن التمكن فى الامر (٢٢) مثل يضرب فى بلوغ الامر الى غايته ويروى بلغ السيل الزبى بالزاى جمع زبية وهى الرابية التى لا يعلوها الماء (٢٣) ورق (٢٤) فرغ

وينظم في سمط(١) الأمالي(٢) فقالوا أيها الشيخ نرالك تجمع مما تسمع قال ان لكل ساقطه لاقطه(٣) ولكن أريد أن تنظروا ما كتبت لتروا هل أخطأت أم أصبت فتناولوا الرقعة بيدها واذا هو يقول فيها ما الفرق بين التمييز والحال(٤) وبين عطف البيان والابدال(٥) وأين يستوفى حق الاسناد ولا يخرج بركنيه عن حكم الافراد(٦) وأى الضمير يتردد بين التعريف والتنكير(٧) وأين يراعى ما يقدر ولا يبالى بما يذكر(٨) وأى اسم يجتمع فيه خمس من موانع الصرف(٩) وأى لفظ يشارك الاسم والفعل والحرف(١٠) وفي أى الاماكن يجتمع ثلاثة من السواكن(١١) وأى فعل يعطى ما للاسماء ويمنع مما للافعال(١٢) وأى اسم يجرى مع قبيلته على هذا المنوال(١٣) قال فلما وقفوا على تلك المسائل رأوها من المشاكل فقالوا لله أنت فقد أحسنت ولكن لو أبنت فعبس حتى مانبس(١٤) وصارت متلتاه كالقبس(١٥) فأشفقوا من غضبه وسألوه عن محتضبه(١٦) فقال قد تكلفت لكم الخطاب ثم أتكلف الجواب(١٧)

---

(١) خيط القلادة (٢) جمع املاء وهو تلقين الكاتب أى أنه يلتقط الفوائد ويكتبها فى تلك الصحيفة (٣) مثل أى لكل كلمة تساقطه أذن لاقطه (٤) يشترك الحال والتمييز فى كونهما اسمين نكرتين فضلتين منصوبتين وافعتين للابهام ولكنهما يفترقان فى سبعة أمور الاول أن الحال تأتى جملة نحو جاء زيد يركض أو وهو ضاحك والتمييز لا يكون الا اسما مفردا والثانى أن الحال قد يتوقف معنى الكلام عليها نحو لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بخلاف التمييز والثالث أن الحال تبين الصفة والتمييز يبين الذات والرابع أن الحال تأتى متعددة نحو جاء زيد راكضا حكما بخلاف التمييز والخامس ان الحال تتقدم على عاملها المتصرف نحو خشعا أبصارهم يخرجون وليس التمييز كذلك فى الصحيح والسادس ان الحال حكمها الاشتقاق وحكم التمييز الجمود والسابع أن الحال تقع مؤكدة لعاملها نحو تبسم ضاحكا ولا يقع التمييز كذلك (٥) يفترق عطف البيان من البدل بأنه لا يكون ضميرا ولا تابعا لضمير ولا جملة ولا تابعا لجملة ولا فعلا ولا تابعا لفعل ولا بلفظ متبوعه ولا مخالفا له فى التعريف والتنكير ولا فى نية احلاله محله ولا من جملة أخرى فى التقدير بخلاف البدل فى كل ذلك (٦) ذلك فى اسم الفاعل ونحوه فانه يشتمل على المسند والمسند اليه وهو الضمير المستتر فيه ولا يكون جملة بل يبقى على افراده (٧) هو ضمير الغائب فانه اذا عاد على معرفة كان معرفة نحو جاء زيد فأكرمته واذا عاد على نكرة كان نكرة نحو رب رجل لقيته (٨) ذلك فى نحو ياسيبويه الكريم فان الكسرة الظاهرة فى آخر سيبويه لا يعتد بها حتى تكسر الصفة حملا عليها وانما يعتد بالضمة المقدرة للنداء فترفع الصفة لاجلها (٩) هو اذربيجان اسم مقاطعة من بلاد الفرس فان فيه العلمية والتأنيث والعجمة والتركيب وزيادة الالف والنون (١٠) هو اسم الفعل فانه يشارك الاسم فى التنوين والفعل فى المعنى والحرف فى البناء (١١) ذلك فى نحو مواذا واذا وقعت فى الوقف فان الالف والدال المدغمة والدال المدغم فيها سواكن (١٢) هو أفعل التعجب فانه يصغر كالاسماء ولا يتصرف كالافعال (١٣) هو أفعل التفضيل فانه يمنع من الكسر والتنوين كالافعال ولا يثنى ولا يجمع كالاسماء (١٤) نطق بكلمة (١٥) شعلة النار (١٦) ارتاعوا (١٧) يقال احتضب النار اذا وقدها

ولعلى فوق ذلك أتكلف لكم الثواب[1] قالوا لا وأيدك[2] الله بل ان جئت بالبينة السافرة[3] وجلوت الشرود النافره فالنقد عند الحافره[4] فلما آنس الندى[5] ووجد على النار هدى فتح خزانة أسراره وسمح بمكنونات أفكاره حتى امتلأت حقائب الملا[6] وقالوا هكذا هكذا والا فلا بيد أنهم[8] مالوا الى استملاء[9] ما أبان حرصا على ثباته فى الاذهان فقال اكتب ياسهيل واندفق فى املائه كالسيل حتى اذا اترع[10] الكؤس وقاد الشموس بالشموس[11][12] قال لانخب ألعطر بعد عروس[13] ثم أشار الىّ وأنشد

العلم خير من صلاة النافله[14] * به الى الله العباد واصله
فاحرص عليه والتقط مسائله * ودع كنوز المال فهى باطله
ولا تبع آجله بعاجله[15] * ولا تضع واصلة بحاصله[16]
واعرض عن الليلة نحو القابله * فذاك مشرب الثقات الكامله
وليس خير فى النفوس العاقله * ان غفلت عن القلوب الغافله
والناس ان كانت طغاما جاهله[17] * فما يكون الفرق يا ابن الفاعله
* بين الرجال وبغال القافله *

---

(١) الجزاء (٢) الواو زائدة لدفع الايهام لان تركها يوهم أن المراد الدعاء عليه بنفى التأييد (٣) الظاهرة (٤) مثل يضرب لسرعة القبض (٥) أى شعر بالعطاء (٦) أوعية تشد الى الرحال (٧) الجماعة (٨) أى غير أنهم (٩) استكتاب (١٠) ملأ (١١) الحرون (١٢) أى الالفاظ الباهرة (١٣) مثل قالته أسماء بنت عبد الله العذريه وكان لها زوج من قومها يقال له عروس فمات وتزوج بها رجل آخر يقال له نوفل وكان بخيلا دميما أبخر أى خبيث رائحة الفم أعسر اليدين بخلاف الاول فلما رحل بها مرت على قبر عروس وجلست تبكى وترثيه بقولها

أبكى عليك ياعروس الاعراس * يانعلبا فى أهله للاينماس
وأسدا بين الاعادى فراس * كان عن الهمة غير نعاس
ويعمل السيف صبيحة الباس * ثم أمور ليس تدريها الناس

فقال نوفل وماهى تلك الامور فقالت

كان عيوفا للخنا والمنكر * وطيب النكهة غير أبخر * وأيسر اليدين غير أعسر

فعلم نوفل أنها تعرض به فأمرها بالنهوض فلما نهضت سقطت منها قارورة العطر فقال لها نوفل خذى عطرك فقالت المثل وقيل انها قالت لا عطر بعد عروس والمراد هنا أنه لا مكان لهذه المسائل بعد هذا المجلس (١٤) الزيادة عن الفرض وهو من الحديث (١٥) أى لا تبع الآخرة بالدنيا (١٦) قادمة (١٧) أوباشا

قال فلما فرغ من سحره السحرى[1] انهال عليه الشمسى[2] والقمرى[3] فأشار نحوى وقال اسق أخاك القمرى[4]
قالوا علم الله أن سيكون[5] ولكن السابقون السابقون[6] حتى اذا قضوا فريضة المكتوبة عادوا
الى سنتى المندوبة فرجنا نجر الذلاذل[7] ونحمد البذل والباذل[8][9]

(المقامة الثلاثون وتعرف بالطيبة)

حكى سهيل بن عباد قال خرجت على فرس جموح[10] الى نية[11] طروح[12] فازعجنى اهماجا وخببا[13]
وأرهقنى صعدا وصببا[14] حتى نهكنى اللغوب[15] وأعيانى الركوب[16] فنزلت لأقيل[17] واستقبل[18] واذا ناقة
ترعى وهى تنساب كالافعى فوقفت أستشرف[19] الهضاب[20] والوهاد[21] وأنا أريد أن أبدلها بالجواد
واذا شيخ قد انقض علىّ[22] كنسر لقمان بن عاد[23] وقال هلكت ولو كنت سهيل بن عباد[24] فتوسمته[25]
من تحت اللثام وقلت فاتلك الله ولو كنت ميمون بن خزام فضحك ثم كبر[26] وقال الاجتماع مقدر[27]
ثم قال الطعام يا غلام فاحضر ما تسنى[28] ثم اندفع فتغنى قال فكان عندى أنس ذلك اللقاء أطرب

---

(١) أى الواضح كالسحر (٢) كناية عن الدينار (٣) كناية عن الدرهم (٤) مثل أصله أن كعب بن مامة الايادى خرج فى ركب معهم رجل من بنى القمر بن قاسط وكان ذلك فى معظم الصيف فضلوا وقل ماؤهم فكانوا يتصافنون الماء وذلك أن يطرح فى القعب حصاة ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يمر الحصاة فيشرب كل واحد قدر ما يشرب الآخر ولما نزلوا للشرب ودار القعب بينهم حتى انتهى الى كعب رأى الرجل القمرى يحدد النظر اليه فأثره عنده وقال للساقى اسق أخاك القمرى فشرب القمرى نصيب كعب من الماء ذلك اليوم ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر فتصافنوا بقية مائهم فنظر اليه القمرى كنظرته أمس وقال كعب كقوله أمس وارتحل القوم وقالوا يا كعب ارتحل فلم يكن له قوة للنهوض وكانوا قد قربوا من الماء فقالوا له رد يا كعب انك وراد فعجز عن الجواب ولما يئسوا منه خيلوا عليه بثوب يمنعه من السمع أن يأكله وتركوه مكانه فمات فذهب ذلك مثلا فى تفضيل الرجل صاحبه على نفسه
(٥) أى علم الله أنا سنعطيه (٦) أى الاول فالاول (٧) ما دون الفرض من الاعمال الدينية (٨) ما يبلى الارض من أسافل الثوب (٩) أى العطاء والمعطى (١٠) يغلب فارسه (١١) جهة ينوى السفر اليها
(١٢) بعيدة (١٣) الاهماج أشد الركض والخبب ركض مضطرب (١٤) أى حملنى فوق طاقتى صعودا وانحدارا (١٥) أى أضعفنى التعب الشديد (١٦) أى عجزت عنه (١٧) أنام نصف النهار (١٨) أطلب الاقالة من الجهد (١٩) أنظر ويداى فوق حاجبى (٢٠) التلال (٢١) الاراضى المنخفضة (٢٢) هجم
(٢٣) يقال ان لقمان كان يعتنى بتربية النسور فربى سبعة منها وهلك الا واحدا كان أشدها وهو لبد المذكور فى المقامة الخطيبية (٢٤) قال ذلك وهو قد عرفه ولحن أنه يريد أن يأخذ الناقة (٢٥) أى عرفته بعلاماته
(٢٦) قال الله أكبر (٢٧) أى أنه يكون بأمر الله وقضائه (٢٨) تهيأ

من شدو(١) سلامة الزرقاء(٢) وبت معه ليلة من ليالي الدهر(٣) أحسبها خيرا من ألف شهر حتى اشتعل رأسها شيبا وعط(٤) الصباح لديجورها(٥) جيبا(٦) فاستوى الشيخ على القتب وقال أجيبوا داعي الله الى ما كتب فأوفضنا في مفازة صلده(٧) حتى أفضينا(٨) الى بلده بها مدرسة للطب عن الحرث ابن كلده(٩) فخلناها محلول النون(١٠) في القفار أو الضب في البحار ولما انجابت(١١) وعكة(١٢) السفر خرج الشيخ في ارتياد(١٣) الظفر حتى أتينا المدرسة وهي حافلة بالطلبة وقد قام في صدرها شيخ طويل الاربه(١٤) عظيم العربه(١٥) فقال الحمد لله الذي شرف علم الابدان(١٦) حتى قدم على علم الاديان(١٧) أما بعد فان هذا العلم أفضل علوم الدنيا جميعا(١٨) لانه أشرفها موضوعا وهو أدقها نظرا وأجلها خطرا(١٩) وأقدمها وضعا وأعظمها نفعا وأغمضها سريرة(٢٠) وأوسعها حظيرة(٢١) وهو يستطلع الخبايا ويستوضح الخفايا(٢٢) حتى قيل انه وحي قد هبط على الاطباء كما هبط الوحي على الانبياء وصاحب هذه الصناعة أروج(٢٣) الناس بضاعه وأربحهم تجاره وأشهاهم زياره وأكسبهم أجرة وأجرا وأنفذهم نهيا وأمرا(٢٤) وعليه مدار الاعمال والمهن(٢٥) وقيام الفروض والسنن فان كل ذلك لا يتم الا بصحة البدن وطالما كان هذا الفن أعز من جبهة الاسد(٢٦) حتى اغتاله الجهلاء فاوثقوا جيده بحبل من مسد(٢٧) فواهاله(٢٨) كيف ثل عرشه(٢٩) واها لعليلهم(٣٠) كيف قل نعشه(٣١) قال وكان في الحضرة فتى باهر اللطافه ظاهر القضافه(٣٢) فقال يا مولاي اني قد منيت(٣٣) بجهل المتطببين(٣٤) الرعاع(٣٥) الذين لا يعرفون الصافن(٣٦)

---

(١) غناء (٢) هي جارية كانت لجعفر بن سليمان بن عبد العزيز الاموي اشتراها بثمانين ألف درهم وكانت توصف بحسن الصوت وطيب الغناء قيل انها غنت يوما بحضرة معن بن زائدة الشيباني وروح بن حاتم المهلبي وابن المقفع فافرغ معن بين يديها بدرة من المال وفعل روح كذلك ولم يكن عند المقفع مال فاعطاها صكا فيه عهدة ضيعة له (٣) أي من ليالي العهد المعدودة (٤) شق (٥) ظلامها (٦) زيق القميص من أعلاه (٧) أي أسرعنا في فلاة صلبة (٨) انتهينا (٩) هو رجل من بني ثقيف كان طبيب العرب وكان حاذقا في صناعته أخذ الطب عن الفرس نبرع فيه وكانت وفاته في خلافة الامام عمر (١٠) الحوت (١١) دويبة تربه (١٢) يعني انا نازلنا بها غرباء لانه ليست مكاننا (١٣) انكشفت وزالت (١٤) أثر التعب (١٥) طلب (١٦) طرف الانف (١٧) طرف الحجاب الذي بين المنخرين (١٨) اشارة الى ما ورد في الحديث من قوله العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان (١٩) أي العلوم الدنيوية احترازا عن العلوم الدينية (٢٠) شرفا (٢١) لانه يتعلق بالخفايا المكنونة في بواطن الاجسام (٢٢) هي في الاصل ساحة تحاط بسياج للغنم ثم استعملت لغير ذلك (٢٣) لانه يكشف الامراض الباطنة بالدلائل الخارجية ويهتدي به الى قوى الادوية وطرق المعالجات (٢٤) أنفق (٢٥) أي على المرضى (٢٦) الصنائع (٢٧) مثل في العزة والمنعة (٢٨) عنقه (٢٩) ليف (٣٠) كلمة تحبب (٣١) كسرا وهدما (٣٢) كرسيه أي كيف ذهب عزه وهو مثل (٣٣) كلمة تحسر (٣٤) أي العليل الذي يعالجونه (٣٥) رفع (٣٦) نحافة الجسم (٣٧) بليت (٣٨) المدعين معرفة الطب (٣٩) الاحداث السفلة (٤٠) عرق في الرجل

من حبل الذراع (١) فلعلك توصيني بما يكون غنية اللبيب عند غيبة الطبيب (٢) فاطرق هنيهة للتروية (٣) ثم هب في النوصيه (٤) فقال يابني لاتجلس على الطعام الاوأنت جائع وقم وأنت بما دون الشبع (٥) قانع وباكر في الغداء ولا تتماس في العشاء والزم الرياضة (٦) على الخلاء واجتنبها عند الامتلاء ولا تدخل طعاما على طعام (٧) ولا تشرب بعد المنام ولا تكثر من الالوان (٨) على الخوان (٩) ولا تعجل في المضغ والازدراد (١٠) واجتنب كل مالم ينضج (١١) وما بات من الطعام فهو مجلبة للفساد (١٢) واذا أمكنتك الوجبه (١٣) فهي أفضل نخبه واقطع العادة المضره مرة بعد مره (١٤) وعليك بتنقية الفضول (١٥) في معتدلات الفصول واذا مرضت فقابل السبب (١٦) واحرص على القوة فانها الى الحياة سبب (١٧) وبالغ في الدواء ماشعرت بالداء ودعه (١٨) متى وثقت بالشفاء واذا استغنيت بالمفردات (١٩) فلا تعدل الى المركبات واذا اكتفيت بالاغذيه فلا تتجاوز الى الادويه (٢٠) واذا تعاظم العرض فاشتغل به عن المرض (٢١) واعتمد الحمية الواقية مادامت العلة باقيه واحذر دواعي النكس (٢٢) فانه شر من العلة بالامس (٢٣) واعلم أن التجربة خطر (٢٤) فكن منها على حذر والعلاج بين استفراغ الحاصل وقطع الواصل (٢٥) والصحة تحفظ بالشبيه وتسترد بالنقيض (٢٦) والحمية للصحيح كالتخليط (٢٧) للمريض واستعمال الدواء

---

(١) عرق في اليد (٢) أي يكون غنية العاقل عند غيبة الطبيب الصحيح وهو اسم كتاب في الطب وضعه الشيخ شمس الدين محمد بن برهان الدين الاكفاني (٣) التفكر (٤) شرع (٥) اسم لما يشبع من الطعام (٦) الحركة المؤثرة نفعا (٧) أي لا تأكل قبل الهضم لان الطعام الثاني يشغل المعدة عن هضم الاول فيفسد (٨) أي أصناف الطعام (٩) المائدة (١٠) المضغ طحن الطعام بين الاضراس والازدراد البلع يريد أن الجائع يسرع بما يرد بالطعام على المعدة جائعا فينشق عليها هضمه (١١) يشمل مالم ينضج من الطعام وهو التمر (١٢) أي ان فساد الطعام في المعدة تعسر هضمه فلا تحسن التصرف فيه (١٣) الاكل مرة واحدة في النهار (١٤) أي بالتدريج قال الشيخ الرئيس في أرجوزته

وكل عادة تضر أهلها ❊ فاقطع بتدريج الزمان أصلها

(١٥) الاخلاط (١٦) أي انظر الى السبب وعالجه بضده كما اذا كان المرض عن حرارة فعالجه بالبارد (١٧) وسبلة قالوا ان القوة للمريض كالزاد للمسافر (١٨) اتركه (١٩) أي بالدواء المفرد البسيط (٢٠) أي اذا وجدت غذاء ينفع من المرض فهو أفضل من الدواء لانه لا يفعل بالطبيعة مايفعله الدواء من القهر والمكابده (٢١) أي اذا حدث عرض شديد يخشى منه سقوط القوة فاشتغل بعلاجه حتى يزول ثم ارجع الى علاج المرض (٢٢) الرجوع الى المرض بعد التخلص منه وهو بالضم في الاصل والفتح لغة فيه كما في الصحاح (٢٣) أي المرض الذي كان قبلا (٢٤) يريد تجربة الادوية المجهول أمرها فانها خطر على المريض يخشى هلاكه بها أحيانا (٢٥) أي أن العلاج يكون بالتدريج ماقدر فان قدر منه المرض أولا ومنع تجدده ثانيا (٢٦) أي أن الصحيح يحفظ صحته بما يوافق مزاجه واذا زالت يسترجعها بما ينافض مزاج المرض (٢٧) ضد الحمية قالوا ان اثنين لا يصحان المريض المخلط والصحيح المحتمي

حيث لا يحتاج كتركه عند حاجة العلاج والمضر اليسير خير من النافع الكثير وكل ما عسر قضمه[1] شق[2] هضمه ومن كثرت تخمه[3] تفاقم سقمه وأكثر الاوصاب[4] يكون من الطعام أو الشراب[5] فاحفظ عني هذه المواعظ واحتفظ بها والله الحافظ قال فلما فرغ من كلامه الموضون[6] برز شيخنا الميمون وقال اني لارى من أهل الفضل والفصل وأرباب العقل والنقل ولقد عثرت على مسائل في كتب الاوائل فهل تأذن بدفع الظنه وزالة المنه قال حبذا فقل اذا[7] قال ما هو الدشبذ[8] وكم هي الدلائل التي تؤخذ[9] وما هو أعدل الاعضاء بالنسبة الى بقية الاجزاء[10] فأخذ الاستاذ في تقليب رأيه حتى أفرط في لأيه[11] ثم قال ان الانسان موضع النسيان[12] فهل من مسائل أخرى لعلي أصادف بها الذكرى قال قد رميتك بالفصيح فاستعجم فهل تفرق[13] من صوت الغراب وتفرس الاسد المشيم[14] هيهات ان العلم بتحقيق القضايا لا بتنميق[15] الوصايا فغلب على الرجل الوجوم[16] ولعبت بالقوم الرجوم[17] حتى قالوا للشيخ مثلك من يستحق الامامه[18] فهل لك عندنا من إقامه قال قد علمتم أن النقلة ثقله ولا سيما مع تطارح الشقه[19] وتطاوح المشقه[20] فان خففتم عني بالامداد[21] أتيتكم كورى الزناد[22] فنفحوه بعدة من الدنانير وقالوا استعن بالله والله على كل شيء قدير قال سهيل فلما فصلنا عن المكان أخذ الشيخ مجلسا مكتوما ثم برز فناولني طرسا مختوما[23] وقال اذا أصبحت فألقه الى القوم ولا تثريب عليك ولا لوم فأجبته الى ما طلب وإذا به قد كتب

---

(١) مضغه (٢) عسر (٣) جمع تخمة وهي فساد الطعام في المعدة (٤) تكاثر (٥) الامراض (٦) المسرود (٧) أي فقل اذن قلبت فوهها ألفا للوقف (٨) هو مادة غضروفية تنبت على طرف العظم المكسور ليلتحم بها (٩) قالوا ان الدلائل ثلاث احداها المذكرة وهي التي تذكر الطبيب بما مضى من الاعراض فيستدل به على سبب المرض وكيفيته والثانية الحاضرة وهي التي تدل على حقيقة المرض الحاصل والثالثة المنذرة وهي التي تدل على ما سيحدث (١٠) قالوا ان أعدل الاعضاء مزاجا بالنسبة الى غيره من أجزاء البدن هو الجلدة التي على طرف السبابة من اليد خلقت كذلك لانها معرضة غالبا للمس فتحتاج الى الاعتدال في نفسها لادراك ما تلاقيه من الملموسات فيفرق بها بين الخشونة والملاسة ونحوهما (١١) ابطائه (١٢) مثل (١٣) تخاف (١٤) من الشمام وهو عود يعرض في فم الجدي لئلا يرضع استعمل ذلك للاسد كناية عن شدة الجوع وهو مثل يضرب لمن يقدم على الامر الخطير وينزعج من اليسير قيل أصله أن امرأة افترست أسدا ثم سمعت صوت غراب فانذعرت منه (١٥) زخرفة (١٦) السكوت خزنا (١٧) الظنون (١٨) أن يكون اماما (١٩) تباعد المسافه (٢٠) تقاذف (٢١) التعب (٢٢) الاسعاف يريد الاسعاف بالمال ليستعين به على مهمات السفر (٢٣) سقوط الشرار من الزند عند اقتداحه (٢٤) اعطوه (٢٥) قرطاسا مكتوبا (٢٦) توبيخ

أنا ذاك الطبيب وان طبي * لنفسي لازيد أو لعمرو
وما عالجت سقم الناس يوما * ولكني أعالج سقم دهري
اذا ما مسني ضنك[1] فعندي * جوارش حيلة وشراب مكر[2]

فلما وقفوا على أبياته تعوذوا بالله من آفاته وقالوا ان لم يكن طبيبا فمكفي به لبيبا[3] فهل لك أن ترده علينا لطرفه[4] ان لم يكن لعرفه[5] قلت ذاك مما لا يقرب فأنه أجول من قطرب[6] ورجعت الى موعدنا[7] أمس فوجدت أنه قد أفل قبل[8] الشمس (من مجمع البحرين)

(١) ضيق (٢) سفوف (٣) عاقلا (٤) ظرافته (٥) علمه (٦) دويبة تجول الليل كله لا تنام وهو مثل (٧) مكان اجتماعنا (٨) غاب

(المقامة الثلاثون الصوريه)

(حكى الحارث بن همام) قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها

(شرح المقامة الثلاثين الصوريه للشريشي)

(قوله مدينة المنصور) هي بغداد والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس استخلف بعد أخيه السفاح وبويع له يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن احدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وكان حاجا وقت وفاة السفاح فعقد له البيعة عمه موسى بن علي بن عبد الله بالانبار وورد الخبر على المنصور في أربعة عشر يوما وقد بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ونظر الى عمه العباس فقال هذا عمي أبو الخلفاء الاربعين أجود قريش كفا ومن ولده السفاح والمنصور والمهدي وقال المنصور رأيت في المنام كأني في المسجد الحرام فنودي أين عبد الله فقمت أنا وعبد الله بن يحيى نستبق حتى وصلنا الى الدرجة العليا فجلس هو وأخذ بيدي فأصعدت وأدخلت الكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال قال فأقعدني وأوصاني بامته وعمني فكان كورها ثلاثا وعشرين كورا وقال خذها اليك أبا الخلفاء الى يوم القيامة وقال المنصور الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه وولد المنصور في سنة خمس وتسعين في اليوم الذي مات فيه الحجاج ومات بمكة يرمي لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة

(صور) مدينة بالشام بينها وبين دمشق ثلاثون فرسخا وقال شيخنا ابن جبير مدينة صور يضرب بها

ذا رفعـــة وخفض ومالك رفع وخفض تقت الى مصر توقان السـقيم الى

المثل فى الحصانة لايلقى لطالبها بيد طاعة ولا استكانة قد أعدها الافرنج مفزعا لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانهم وحصانتها ومناعتها أعجب ما يحدث به وذلك أنها راجعة الى بابين أحدهما فى البر والثانى فى البحر والبحر يحيط بها الامن جهة واحدة فالبرى يفضى اليها بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة كلها فى ستار مشيدة محيطة بالباب والبحرى يدخل اليه بين برجين مشيدين الى مرسى له ليس فى البلاد أعجب منه وصفا يحيط به سور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق به من جانب آخر جدار معقود بالجص والسفن تدخل تحت السور وترسى فيه وتعرض من البرجين المذكورين سلسلة عظيمة معقودة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ولا مجال للراكب الا عند ازالتها وعلى الباب حراس لا يدخل الداخل ولا يخرج الا على أعينهم فشأن هذا المرسى شأن عظيم وعند الباب البرى عين معينة تنحدر اليها على أدراج والآبار والجباب بها كثيرة لا تخلو دار منها ولا بساتين بها انما تجلب لها الفواكه من أقطارها التى بالقرب منها ولها أعمال متصلة والجبال التى بالقرب منها معمورة بالضياع ومنها تجئ الثمرات اليها وللمسلمين الباقين بها مسجدان وأعلى أحد أشيا خنا أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسمائة بعد محاصرة طويلة وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين للغزو (قوله ذا رفعة) أى عزة ومكانة (خفض) طيب عيش ومعنى (مالك رفع وخفض) أى صاحب أحمال ترفع على الابل فى السفر وتحط عنها للنزول ويريد أنه ذو قدرة وتمكن يخفض ويرفع من أراد (قوله تقت) أى اشتقت (مصر) قال الهمذانى سميت بمصر بن هرمس بن هروس جد الاسكندر وقال أهل اللغة المصر الحد فسميت مصرا لانها حد بين المشرق والمغرب * ابن دريد كل بلد عظيم مصر نحو البصرة والكوفة طول مصر من الشجرتين اللتين بين أيلة والعريش الى اسوان وعرضها من برقة الى ايله فهى مسيرة أربعين ليلة وافتتحت كلها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يدى عمرو بن العاص بن وائل السهمى ولما افتتحت مصر أتى أهلها الى عمرو فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم ماذاك فقالوا له اذا كان اثنتا عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر العجم عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والحلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهى أسماء ثلاثة أشهر للقبط لا يجرى النيل فيها الا قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء منها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمر بطاقة وكتب الى عمرو انى بعثت اليك بطاقة فالقها فى النيل فاخذ عمرو البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت

انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فالقى البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فلما ألقى البطاقة فى النيل أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة فقطع الله تعالى تلك السنة السوء عن أهل مصر قال ابن جبير ومدينة مصر كبيرة عامرة مختلفة الاسواق من المدن التى سارت باوصافها الرفاق وهى على شط النيل وعلى النيل فى مقابلتها قرية كبيرة الشان كثيرة البنيان تعرف بالجيزة وتعترض بينهما جزيرة فيها مساكن حسان وعلالى مشرفة وهى مجتمع لهو أهل مصر ومتنزههم وبينها وبين مصر خليج يذهب بطولها نحو الميل ولا مخرج له وبالجزيرة جامع يخطب فيه ويتصل بهذا الجامع المقياس الذى يعتبر فيه قدر زيادة فيض النيل كل سنة وابتداؤه من شهر بؤنه ومعظم انتهائه اغشت وآخرها أول شهر اكتوبر والمقياس عمود رخام وضع فى موضع ينحصر فيه الماء عند انتهائه اليه وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعا وكل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالاصابع فاذا استوى الماء تسعة عشر ذراعا فى الفيض فهى الغاية عندهم فى طيب العام وربما كان الماء فيها كثيرا لعموم الفيض والمتوسط ما استوى سبعة عشر ذراعا وهو أحسن مما زاد عليه والذى يستحق به السلطان خراجه ستة عشر ذراعا فصاعدا وعليها تعطى البشارة للذى يرقب الزيادة فى كل يوم ويعلم بها مياومة وان قصر عن ستة عشر فلا مجبى لذلك السلطان فى ذلك العام ولا خراج الا ما يحول عليه وبقرية الجيزة يوم الاحد سوق عظيمة يتحدث بها وعلى نحو سبعة أميال فى الصحراء التى ينفضى منها الى الاسكندرية الاهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر المربعة الشكل كأنها القباب المضروبة قد قامت فى جو السماء لاسيما الاثنان منها فى سعة الواحد منهما من ركنه الى ركنه ثلثمائة خطوة وست وستون خطوة محددة الاطراف فى رأى العين وربما أمكن الصعود اليها على خطر ومشقة فتلفى أطرافها المحددة كاوسع ما يكون من الرحاب قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة وركبت تركيبا بديع الالصاق يكاد يعجز أهل الارض نقض بنيانها وبمصر أيضا المسجد المنسوب الى عمرو بن العاص وبها الجبانة المعروفة بالقرافة وهى من عجائب الدنيا لما تحتوى عليه من مشاهد الانبياء وأهل البيت والصالحين والعلماء وذوى الكرامات من أهل الزهد وبها قبر آسية امرأة فرعون وبها مساجد معمورة بالليل والنهار يبيت بها الصالحون وبها قبر الشافعى محمد بن ادريس الامام رضى الله عنه وهو من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعا والمشهد العظيم الشأن الذى بالقاهرة حيث رأس سيدنا الحسين ابن على رضى الله عنهما هو فى تابوت من فضة مدفون فدبنى عليه بنيان يقصر الوصف عنه مجلل بانواع الديباج محفوف بامثال العمد الكبار من الشمع الابيض أكثرها موضوع فى أنوار الفضة

الاساة والكريم الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الاقامة واعروريت ظهر ابن النعامة وأجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة الحين كافت بها كاف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما أنا وما بها أطوف وتحتى فرس قطوف اذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت لانجاع النزهة عن العصبة والوجهة فقيل أما القوم فشهود وأما المقصد فاملاك مشهود فحدتنى ميعة النشاط

وحف أعلاه كله بامثال التفافيح ذهبا فى مصنع شبه الروضة يبهر الابصار حسنا وجمالا وفيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون والمدخل اليها من مسجد على مثالها فى التأنق حيطانه كلها رخام وأغرب ما فيه حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الاشخاص كلها كأنه المرآة الهندية وانزاحم الناس على القبر وانكبابهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التى عليه مرآى هائل واخبار مصر كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة (الأساة) الاطباء (المواساة) أن يجعلك أسوة نفسه فى ماله فيقاسمك فيه (رفضت) تركت (علائق) أسباب تتعلق به فتحبسه (نفضت) أزلت واطرحت ونفضت ثوبى من الغبار أزلته عنه (عوائق) موانع وهى ما يصرف الانسان عن وجهه الذى يمر فيه ويريده (اعروريت) ركبته عريا (ابن النعامة) الطريق وقيل صدر القدم قال عنترة

* وابن النعامة عند ذلك مركبى * وقيل ابن النعامة الساق وقيل عرق فى الرجل وقيل الفرس الفاره (أجفلت) أسرعت (النعامة) واحدة النعام (معاناة) مقاساة (الاين) الفتور من التعب (مداناة الحين) مقاربة الهلاك (كافت بها) أى أحبيتها وولعت بها (النشوان) السكران يريد أنه فرح فرح السكران اذا أصبح للشرب وهو الاصطباح والمهموم بالليل اذا طلع ضوء النهار انجلى همه فجعل بياض الفجر (تنفس) أى انتشر (١) فى الظلام (قطوف) متقارب الخطو كأنه يقطف خطوه أى يقطعه (جرد) ملس والاجرد القصير الشعر (عصبة) جماعة (مصابيح) سرج ويريد بها النجوم (الوجهة كالجهة) وهو كل موضع استقبلته وقصدته وتوجهت اليه (املاك) نكاح وأملك الرجل املاكا تزوج وأملكه غيره زوجه وشهدنا املاكه أى عرسه

* ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم من شهد املاك امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله واليوم بسبعمائة (مشهود) أى محضور (حدتنى) ساقتنى (ميعة) حدة ونشاط

---

(١) قوله فجعل بياض الفجر تنفس اى انتشر الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا ولعل فيها سقطا او تحريفا من النساخ ونعوذ بالله من سقم النسخ الناشئ من عدم الاعتناء بها ومقابلتها على اصلها الصحيح ولعل الاصل والله اعلم فجعل بياض الفجر تنفس الصباح اى انتشار ضوءه فى الظلام او نحو ذلك تأمل والله ولى الهداية اه مصححه

على أن سرت مع الفراط لافوز بحلاوة الاقساط وأحوز حلواء السماط فافضينا بعد مكابدة العناء الى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول رأيت دهليزها مجللا باطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة وهنالك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ومرآى هذه

والميعة أول الشباب وأول جرى الفرس وميعة كل شئ معظمه و (الفراط) السباق المتقدمون الواحد فارط (اللقاط) ما يلتقط من العرس مما يترفيه للحاضرين نحو الكعك والخبيص وما يترفيه يسمى نثارا وكان نثار العرب في عرسهم التمر (أحوز) أحصل (السماط) السوق التي جوانبها صفان متقابلان والسماط أيضا أن يصطف العسكر صفين متقابلين والسماط في الطعام أن تلصق مائدة باخرى ويجلس الناس عليها صفين متقابلين والسماط الصف منه ومنه سمط الجوهر ومنه الشعر المسمط وهو الذي أبياته مفصلة على أجزاء متقابلة وقد نبهنا عليه في الحادية عشرة (مكابدة) مقاساة وهي من الكبد كان الكبد يتعب بها و (العناء) التعب (رفيعة البناء) قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله في البناء وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى بناء في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا في غير ظلم ولا اعتداء فان أجره جار ما انتفع به أحد من خلق الرحمن وقال بعض الحكماء اذا أيسر الرجل ابتلى بثلاثة أشياء صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوج عليها وداره يهدمها ويبنيها وعلى قوله أما القوم فشهود جاء فيهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الشهود فان الله عز وجل يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم (وسيعة) أي واسعة و (الفناء) الساحة وهي ما حول الدار (الثراء) كثرة المال (السناء) الشرف والرفعة (صهوات) ظهور (دهليز) مدخل الدار الذي تسميه عامتنا الاسطوان والاسطوان عند العرب السواري واحدها اسطوانة وأنشد أبو موسى الجاحظ في نوادره وذكر الدهليز فقال

أويت في الدهليز منذ أربع * ولم أكن آوى الدهاليزا
خبرني من السوق وشعري لكم * تلك لعمري قسمة ضيزى

(مجللا) مغطى (أطمار) ثياب خلقة (مكللا) محلقا (مخارف) قنف أو تعاليق للغرباء يجعلون فيها ما يأخذونه من الصدقة والمخارف عند العرب جمع مخرف وهي قفيفة تشبه الزنبيل يخترف فيها الرطب أي يجتنى فيها (قطيفة) نوع من البسط (دكة) هي الدكان (رابني) شككني وخوفني (عنوان) دليل (الصحيفة) الكتاب أراد تطيرت بتلك المخارف وأراد أنها دار خيبة وحرمان وكان ابن همام في هذه القصة طفيليا على ما وصف به نفسه من الرفاهية وربما يتولع أهل الظرف

الطريفة ودعاني التطير بتلك المناحس الى أن عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرّف الاقدار ليعرّفني من رب هذه الدار فقال ليس لها مالك معين ولا صاحب مبين انما هي مصطبة المقيفين والمدروزين وولجة المشقشقين والمجاوزين فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى وامحال المرعى وهممت في الحال بالرجعى لكني استهجنت العود من فوري والقهقرة دون غيري فولجت الدار متجرعا الغصص كمايلج العصفور القفص فاذا فيها أرائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفه وسجوف مرصوفة وقد أقبل الملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته

والادب بمثل هذا فقد حكيت عن ابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي مثل هذا في أخبار الطفيليين على مناداتهما للخلفاء وكثرة أموالهما (البدعة) (١) الشيء المبدع الذي لم يفعل قبله مثله و (الطريفة) الغريبة المستظرفه (التطير) التشاؤم (المناحس) جمع منحوس وهو الذي لا يفارقه النحس وأراد به المخارف والاطمار التي قدم (مصرّف الاقدار) هو الله تعالى (رب الدار) مالكها أو الناظر في اصلاحها ماذكرمما لا يفهم له معنى ٢ (المقيفين) المكدين وقيل المقيفون جمع مقيف وهو الذي يقفو آثار الناس أي يتبعهم يطلب لهم شيأ ويدعولهم و (المدروزين) المكدين ودروزة كلمة أعجمية معناها الكدية و (الشقشق) الذي يحاكي أصوات الطيور فتجتمع اليه فيصطادها و (المجاوز) والجلواز الشرطي الذي يتصرف حول السلطان (قوله ولجة) أي مدخل والولجة الموضع الذي يلج الانسان فيه أي يدخله أو كهف يستترفيه (القهقرة) الرجوع الى خلف (ضلة) ضلالة (المسعى) المشي بعجلة أراد أن مشيه كان لغير فائدة (امحال) يبوسة وجفاف (فوري) حيني من قبل أن أسكن (الغصص) جمع غصة وهي ما يختنق بها وتجرعها صعب (ارائك) سرر مزينة (طنافس) بسط و (نمارق) مخاد (سجوف) ستور (مرصوفة) مضمومة ملتصقة وجعل البيت بهذه الامتعة الكثيرة لانه بيت عرس فهي تستعد له وان كان قد رأى في دهليزه مرقعات تدل على فقر فان الغرباء في البلاد يعلقون مرقعاتهم في دهليز الفندق وبيته في غاية الرفاهية والدار المذكورة انما كانت فندقا للفقراء الغرباء والمكدين والجالس في دهليزها خادم الفندق وحين سأله عنها أخبره أنها ليس لها رب معين انما هي دار المكدين والمخارفين وقيل لاحد المكدين أتبيع مرقعتك فقال هل رأيت صائدا يبيع شبكته (الملك) العروس (يميس) يتبختر و (يتبهنس) مثله في المعنى (حفدته) خدمه وأتباعه ويقال حفد العبد يحفد حفدا اذا خدم وفي الدعاء واليك نسعى ونحفد أي نخدم ونعمل لك وقال الشاعر

---

(١) قوله البدعة ليست في نسخة المتن كما ترى وكأنه في نسخته البدعة الطريفه اه (٢) قوله ماذكرمما لا يفهم له معنى هكذا في النسخ التي بأيدينا وهي مع ما قبلها لا تلتئم ولا يفهم لها معنى ولعل هنا كلاما سقط من النساخ تلتئم معه هذه الجملة ونعوذ بالله من سقم النسخ اه مصححه

حين جلس كأنه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل الاحماء وحرمة ساسان

حفدا ولائدبينهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال

أبو عبيدة يقال حفد يحفد وأحفد يحفد وفسر طاوس قوله تعالى بنين وحفدة أى خدما فهو مطابق للغة وفسره ابن مسعود رضى الله عنه بالاختان وهو مطابق لما فى المقامة لان المكدين لا خدم لهم وقال الفراء رحمه الله الحفدة جمع حافد ككامل وكملة (ابن ماء السماء) الجوهرى ماء السماء لقب عامر بن حارثة الازدى أبو عمرو من بقياء الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم وسمى ماء السماء لانه كان اذا أجدب قومه مانهم أى كفاهم مؤنتهم حتى يأتيهم الخصب فكأنه خلف من ماء السماء وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشام والعرب تسمى أيضا بنى ماء السماء لانهم يعيشون بماء السماء قال الازهرى رحمه الله السماوة ماء بالبادية وكان اسم أم المنذر ماء السماء فسمته العرب ابن ماء السماء وهو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى وأمه ماء السماء وهى امرأة من النمر بن قاسط سميت بذلك لجمالها ولما ملك كسرى الذى اسمه قباذ بن فيروز خرج فى أيامه رجل يقال له مزدك فدعا الناس الى الزندقة واباحة الحرم وأن لا يمنع أحد أخاه ما يريده فدعا قباذ المنذر ليدخل فى هذا المذهب فأنف وأبى المنذر هذا الفعل الخسيس فطرده قباذ من مملكته ونفاه عن الحيرة ودعا الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فاجابه وكان الحرث شديد الملك فشد دله ملكه وكانت أم أنوشروان بين يدى قباذ يوما فدخل عليه مزدك فلما رآها قال لقباذ ادفعها الى لاقضى حاجتى منها قال له قباذ دونكها فوثب اليه أنوشروان فلم يزل يسأله أن يهب له أمه حتى قبل رجليه فتركها له فلما هلك قباذ وتولى أنوشروان وجلس فى مجلسه أقبل المنذر اليه وأذن للناس فدخل عليه مزدك ودخل عليه المنذر فقال أنوشروان كنت أتمنى أمنيتين أرجو أن يكون الله تعالى قد جمعهما لى فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت ان أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مزدك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم فقال انك لههنا يا ابن الزانية والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفى مذ قبلت رجليك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل فى ضحوة واحدة من الزنادقة مائة ألف وصلبهم وطلب الحرث فخرج هاربا بجميع ما معه وأخذ المنذر فى طلبهم فاخذ من بنى آكل المرار ثمانية وأربعين رجلا فضرب رقابهم وألح فى طلب امرئ القيس فلحق بالسموأل وتمام القصة فى الثالثة والعشرين (قوله الاحماء) أى الاختان (ساسان) شيخ المكدين قال الفنجديهى ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم قال أبو الفتح اسماعيل بن الفضل بن الاخشيد السراج المكدى فى كتابه حدثنا أبو بكر البطاينى المكدى حدثنا محمد بن على بن أحمد الفقيه المكدى حدثنا مليك بن صالح المكدى

أستاذ الاستاذين وقدوة الشحاذين لاعقد هذا العقد المجل فى هذا اليوم الاغر المحجل الا الذى جال وجاب وشب فى الكدية وشاب فأعجب رهط الصهر ما أشاروا اليه وأذنوا فى احضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان قامته ونور الفتيان نغامته فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت الضوضاء لهيبته ازدلف الى مسنده ومسح سبلته بيده ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضال المبتدع للنوال المتقرب اليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذى شرع الزكاة فى الاموال وزجر عن نهر السؤال

قال سمعت طرارة المكدى قال قال ساسان ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قلت بلى قال هى الكدية وقوله (استاذ الاستاذين) حدث أحمد بن الحسن قال كنت عند ابى الحسن ابن أبى الفضل فدخل رجل فذكر أنه شاعر فقال الشعراء ثلاثة شاعر وشعرور وشعرة فاما الشاعر فالمفلق والشعرور المستملح والشعرة المستثقل لرداءة شعره والاستاذون ثلاثة أستاذ فى الدين كالعلماء والفضلاء وأستاذ فى الدنيا كالوزراء والعمال والولاة وأستاذ لادين عنده يتعلم منه ولادنيا ينتفع بها كالحجام يسمى أستاذا والبناء والملاح وبنو ساسان ملوك الفرس (قدوة) مقدم (الشحاذين) المكدين والشحاذ الملح فى المسئلة وشحذت السيف بالغت فى صقالته (المجل) المعظم يقال بجلته تبجيلا أى عظمته تعظيما مأخوذ من البجيل والبجال وهو الرجل الضخم وفى الحديث اصبتم خيرا بجيلا أى كثيرا ضخما (الاغر) المشهور لحسنه (المحجل) الابيض (شب) ترعرع ونشأ (الملوان والفتيان) الليل والنهار و (نغامته) شعرته (نورها) بيضها والنغام نبت أبيض وهو ضرب من البهمى منابته الجبال اذا يبس ابيض بياضا شديدا * أبو حنيفة تنبت الثغامة خيوطا طوالا دقاقا من أصل واحد فاذا جفت ابيضت كأنها واذا أمحل الثغام كان أشد بياضا ويشبه به الشيب قال المرار الفقعسى

أعلاقة أم الوليد بعيدما * أفنان رأسك كالثغام المخلس

وقال حسان رضى الله عنه

أوما ترى رأسى تغير لونه * شمطا فاصبح كالثغام المحمل

والثغام مرعى تعلفه الخيل قال بشر وذكر الخيل

فباتت ليلة وأديم يوم * على البهمى يجزلها الثغاما

(زربيته) طنفسته والجمع الزرابى وقيل هى الوسائد وقيل الثياب الموشاة و (الضوضاء) الاصوات (ازدلف) قرب (مسنده) موضع اسناده (سبلته) لحيته وقيل شاربه وهذه الخطبة التى ذكر ليس فيها لفظ الا وهو يتضمن اشارة للكدية (المبتدع) أى الفاعل له قبل أن يفعل (النوال) العطاء (المؤمل) المرجو (شرع) فرض و (نهر السؤال) من قوله تعالى وأما السائل فلا تنهر وقال ابن عمران

وندب الى مواساة المضطر وأمر باطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين فى كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أحمده على مارزق من طعمة هنيئة وأعوذ به من استماع دعوة بلانية وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له الهايجزى المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا ويربى الصدقات

ان ابن آدم حين يلحف سائل * يتقدّمن حنق عليه فيقهره
والله ان يقصده عبد ملحف * بسؤاله يدنيه منه ويشكره
فسل الاله ولذبه لاتنسه * فالله يذكر عبده اذيذكره

وقال أيضا

سؤّالنا دُعاتنا للجنه * اهم علينا بالقبول منه
من سال منهم وبان أعطينه * ولو بتمرة فواسينه

أوأجل الرد لاتنهرنه (١) * وان يكن يلحف فاعذرنه * وأدع له الله وصبرنه

(قوله ندب) أى دعا وحرض (المضطر) الشديد الحاجه (القانع) المتذلل عند السؤال (والمعتر) المتعرض للمعروف (والمحروم) الذى لايسأل أحدا شيأ وهو محتاج (طعمة هنيه) الكدية لان فائدتها تحصل بلا تحمل تكلف ولامشقة (دعوة بلانيه) قولك للسائل الله يعطيك وسع الله عليك ونحوه وأنشدوا فيهم

ورجال ونساء * وبنات وبنونا
واذا يدعى لهم يو * ما تراهم يغضبونا

وقال آخر

ألم ترنى أبغضت ليلى وذكرها * كما أبغض المسكين دعوة سائله

لان السائل لايطلب من المسؤل الدعاء انما يطلب مايشبع الامعاء ومما يستطرف من هذا ماحكى الاصمعى قال مر بى اعرابى سائلا فقلت له كيف حالك قال أسأل الناس الحافا فيعطونى كرها فلا يؤجرون على ما يعطونى ولا يبارك لى فيما آخذ والعمر بين ذلك فان والاجل قريب والامل بعيد سأل اعرابى رجلا يكنى أبا عمرو عند داره فقال يرزقك الله فعاد اليه يوما آخر فقال بمثل ما قال أمس وتنحنح ففطنت منه ضرطة فقال الاعرابى

ان أبا عمرو لمكبوس الوسط * اذا سألناه قطى وضرط * اعطاؤه يرزقك الله فقط

(أشهد أن لا اله الا الله) أى أعلم وأبين ومنه شهد الله أعلم وبين انه لا اله الا هو ومنه شهد الشاهد عند الحاكم أى بين له ما عنده وأعلمه الخير (يمحق) يزيل ويستأصل (الربا) الحرام وأصله الزيادة (ويربى)

---

(١) قوله لاتنهرنه أى لاتزجره ويقرأ بحذف الف لا لضرورة الوزن اه مصححه

وأشهد أن محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من الاغنياء فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين وخفض جناحه للمستكين وفرض الحقوق في أموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى اصفيائه أهل الصفة أما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا وسنّ التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وهذا أبو الدرّاج ولاج بن خرّاج ذو الوجه الوقاح والافك الصراح والهرير والصياح

يزيد ويكثر أي يضعفها له (ينسخ) يزيل (المسكين) الضعيف الذليل (وخفض جناحه) ألان جانبه فهو مثل للاشفاق والحنان وأصله ان الطائر انما يخفض جناحه على فراخه ويلطفها به شفقة عليها قال الله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة (واستكان) خضع وذل وهو استفعل من كان أصله استكون نقلت حركة الواو الى الكاف فانقلبت ألفا لتحركها في الحكم وانفتاح ما قبلها فهي في الاصل كاستقام وبابه أو يكون افتعل من السكون لان الخاضع يقلل الكلام وأصله استكن فوصلت فتحة الكاف بألف كقوله * قلت وقد جرّت على الكلكال * أراد الكلكل وقال تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وأنشد أبو علي * فما استكان لملاقى ولا خضعا * (قوله المثرين) الاغنياء (الزلفة) القربة يتقرب بها الى الله تعالى (أصفيائه) أحبابه (الصفة) تشبه القبلة والصفة كالسقيفة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرباء يظعنون اليه من الجهات وليس عندهم شئ فيسكنون سقائف المسجد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس على الصدقة عليهم وكان يجلس لهم فيعلمهم القرآن وخصهم الحريري بالذكر لان لهم حالة يشبهون بها المكدين من لباس الخلقان والعيش من صدقات الناس فهم يتأسون باهل الصفة ويجعلونهم حجة على من زجرهم ومما يحسن أن ينشد في هذا المعنى قول ابن عمران

السائلون عيال الله والمال * لله فابذله فيهم خاب من لؤما
فجد على ثقة بالله من خلف * يا ويح من كان للرحمن متهما
واحذر من الردّ ان الله يمقته * من غير عذر وشؤم الشح قد علما

(الشعوب) جمع شعب وهو أكبر من القبيلة (الدرّاج) كناه بذلك لكثرة حركته (ولاج) كثير الولوج على الناس للكدية (خرّاج) كثير الخروج في طلب رزقه والولاج الخراج الذي يحسن الدخول في أموره والخروج منها ويقال فلان ولاج خراج اذا كان متصرفا في أموره نفاعا لاوليائه ضرارا لاعدائه (والافك) سوء الكذب (الصراح) الظاهر البين يريد أنه اذا وصف حالته في كديته لا يتكلم الا بالكذب (الهرير) كثرة الصياح والشر وهرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد

والابرام والالحاح يخطب سليطة أهلها وشريطة بعلها قنبس بنت أبي العنبس لما بلغه من التحافها بالحافها واسرافها في اسفافها وانكماشها على معاشها وانتعاشها عند هراشها وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصقاعا وكرازا فأنكحوه انكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وأسأله أن يكثر في المعاطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته

(والابرام) الاثقال والانجار يريد أنه يوالي الصياح على من يكديهم ويثقل عليهم بالعتب على ترك الصدقة حتى يفتدوا منه (والالحاح) المداومة والاكثار من السؤال وقدم الخطبة المدينة في سنة مجدبة فمشى أشرافها بعضهم لبعض خوفا من لسانه وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو يأتي الشريف منا فان أعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فجمعوا له بينهم أربعمائة دينار فأتوه فقالوا هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان فأخذها وظنوا أنهم قد كفوه المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول من يحملني على بغلين كفاه الله كيلة النار (السليطة) الحديدة اللسان وقد ساطت فهي سليطة (شريطة) موافقة (بعلها) أي زوجها أي جاءت على شرط زوجها فهي مثله في خصالها كلها (قنبس) اسمها وهو من القبس وهي الشعلة كأنها لحدتها شعلة نار تحرق ما مرت به (عنبس) من العبوس ونونه ونون قنبس زائدتان (التحافها) ارتدائها والتوائها فيه (الحافها) الحاحها في السؤال (اسفافها) تساقطها على ما تجمع من الناس والاسفاف التتبع لمداق الامور والاسفاف الدخول في الامر الدني وقد أسف تعرض للامر الدني (انكماشها) انحفازها واجتهادها (انتعاشها) قيامها وارتفاعها (هراشها) مشارتها للقرابتها والهارشة أصلها للكلاب وهي أن يترافع الكلبان ويتنابحا ويعض كل واحد صاحبه فجعل مدافعتها عند الشر لاقرانها ومضارتها كالهراش للكلاب ولا تكمل عندهم نجابتها حتى تفوق أقرانها في الشر والسب بالقبائح وضرب الكف على ذلك والافهي ناقصة (بذل) أعطى (شلاقا) ثوب مرقع وليس بعربي وقيل هو شبه المخلاة وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز (عكازا) عصا تقرع بها الابواب وتضرب بها الكلاب (صقاعا) خرقة بالية تجعلها على رأسها (كرازا) اناء تعلقه في ذراعها تجعل فيه الصدقة وقيل الكرازا اناء لشرب الماء وتسميه عامتنا الكرازة فكان صداق هذه المرأة نوما مرقعا تلبسه للكدية وخرقة بالية لرأسها وعصا تقرع بها الابواب واناء اما أن تجعل فيه ما يدق من الصدقة أو تجعل فيه ماء لشربها عند طوافها للكدية والكرز هو الخرج والكراز كبش يحمل عليه الراعي أداته (عيلة) فقرا (شملكم) عددكم (المعاطب) المهالك وخطأ أبو محمد في الدرة من ذهب بين الخواص بالعيلة الى العيال وقال انما العيلة الفقر بدليل قوله تعالى وان خفتم عيلة

وتصريف الفعل منه عال يعيل فهو عائل والجمع عالة وفي التنزيل العزيز ووجدك عائلا فاغنى وفي الحديث لان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وأما الذين يعالون فهم عيال وواحدهم عيل كجيد وجياد وجمع عيال على عيائل كركاب وركائب وأعال فهو معيل كثر عياله وعالهم يعولهم وفي الحديث ابدأ بمن تعول ومن كلام العرب والله لقد عالت حتى علت أي صنت عيالي حتى افتقرت وأما قوله تعالى ذلك أدنى أن لا تعولوا فمعناه أن لا تجوروا وقال بعض العرب لحاكم حكم عليه عالم يوافقه والله لقد عالت علي في الحكم أي أجرت ومن فسر في الآية تعولوا بان معناه تكثر عيالكم فتمدوهم (١) واذ فرغنا من تفسير هذه الخطبة الهزلية وقد قدمنا أن ابن همام في هذه المقامة طفيلي فنذكر هنا العهد الذي كتبه الصابي بأمر معز الدولة لمحمد بن فريعة الطفيلي ببغداد وقد استخلفه على التطفيل فان هذا العهد يوافق خطبة المقامة في كثير من أغراضها وذلك عهد عهده محمد بن عبد الرحمن الى الفضل بن النعمان حين استخلفه على سنته واستنابه على حياطة رسومه وسنته من التطفيل على أهل مدينة السلام وما يتصل بها من أرباضها وأكنافها وما يجرى معها من سوادها وبياضها وأطرافها لما توسمه فيه من قلة الحياء وشدة اللقاء وكثرة اللقم وجودة الهضم وأمره أن يتوسم اسم التطفيل ومعناه ويعرف مغزاه ومنحاه ويتصفحه تصفح الباحث عن حظه بمجهوده غير القائل فيه بتسليمه وتقليده فان كثيرا من الناس قد نسب صاحبه للشره والنهم وحمله على الجشع والقرم فمنهم من غلط في استدلاله فأساء في مقاله ومنهم من شح بماله فدفع عنه باحتياله وكلا الفريقين مذموم وجميعهما ملوم لا يتعلقان بعذر واضح ولا يتعريان من لباس فاضح وقد عرفت يا أخي بالتطفيل ولا عارفيه عند ذوي التحصيل لان التطفيل مشتق من الطفل وهو وقت المساء وأوان العشاء فلما كثر استعمل في صدر النهار وعجزه وأوله وآخره كما قيل القمران للشمس والقمر وكما قيل العمران لابي بكر وعمر وأمره أن يعتمد موائد الكبراء والعظماء بعراياه ويبسط الامر بسراياه فانه يظفر من ارادته بالغنيمة الباردة ويصل بها الى الغريبة الشاردة فيجد بها من ظرائف الالوان الملذذة للسان وبدائع الطعوم السائغة في الحلقوم ما لا يجده عند غيرهم ولا يناله الا لديهم لحذق صناعتهم وجودة أدواتهم

(١) قوله ومن فسر في الآية الخ في الكشاف والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كمونهم منهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعالوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من فى اخيك سوأ وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا له كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن العلماء طرقوا اسبابا فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات اه نقله مصححه

وخصب ناديهم وكثرة ذات أيديهم والله يوفر من ذلك حظنا وينشد نحوه لحظنا ويوضح عليه دليلنا ويسهل اليه سبيلنا وأمره أن يجتلب التكرمة ممن يحصل منهم ودّه ويستدعي بالتلطف نائله ورفده وكثيرا ما يتفق ذلك للداخلين ويتيسر للتوصلين وأمره أن يصادق قهارمة الدور ومدبريها ويرافق وكلاء المطابخ ومدبريها فانهم يكون من أصحابهم أزمة مطاعمهم ومشاربهم وأمره أن يتعهد أسواق المتسوقين ومواسم المتبايعين فاذا رأى وظيفة قد زيد فيها أو أطعمة قد احتشد منها اتبعها الى القصد بها وشيعها الى المنزل الحاوي لها واستعلم ميقات الدعوة ومن يحضرها من أهل اليسار والثروة وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين ومحافل الرعاع المقترين وأن لا ينقل اليها قدما ولا يفرغ لها كلها فانها عصابة تجتمع على مضض النفوس والاحوال وقلة الاحلام والاموال وفي التطفيل عليها أجحاف بها يؤلم وازراء بمروءة التطفيل يثلم وأمره أن يحوز الحوان اذا حصل والطعام اذا نقل حتى يعرف بالحدس والتخمين عدد الالوان في الكثرة والقلة وافتنانها في الطيب واللذة فيقدر لنفسه أن يشبع مع آخرها وينتهي عند انتهائها فلا يفوته نصيب من كثيرها وقليلها ولا يحظئه الحظ من دقيقها وجليلها ومتى أحس بثقلة الطعام وحيره أمعن في أوله امعان الكيس في سعيه والرشيد في أمره فانه اذا فعل ذلك سلم من عواقب الاغمار الذين يكفون طرفا ويقولون تادبا ويظنون ان المائدة تبلغهم الى آخر حاجتهم وتنتهي بهم الى حد غايتهم فلا يلبثون أن يخجلوا خجلة الوامق الراغب وينقلبوا بحسرة الراشق الخائب وأمره أن يروض نفسه ويغالط حسه ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحا ويطوي دونه كشحا ويستحسن الصمم عن الفحشاء ويغض عن اللقمة الخشناء وان أنته الوكزة في حلقه صبر عليها لاجل الوصول الى حقه وان وقعت الصفعة في راسه عض عليها بمواقع أضراسه وان لقيه لاق بالجفاء قابله باللطف والصفاء اذا كان ولج الابواب وخالط الاصحاب وجلس مع الحضور واختلط بالجمهور فلا بد أن يلقاه المتكر لامره ويغربه المستغرب لوجهه فان كان حر احسنا أمسك وتذمم وان كان فظا غليظا اهمهم وتكلم وأن يستعمل مع المخاطب له الملاينة وأن يجتنب عند ذلك الخاشنة ليرد غيظه ويقل حدّه ويكف غربه ويامن سعيه وأمره أن يتعهد الجوارشات المعدة للعدد والمقوية للعدد المشهية للطعام المسهلة سبيل الانهضام وان يكون في اتخاذها كالكاتب الذي يحط أقلامه والفارس الذي يصقل حسامه وأمره اذا غشي أبواب الملوك أهل السلطان أن يصانع البواب والحجاب ويخدم القواد والكتاب فاذا دخل السواد الاعظم توسط الجمع لا يتأخر ولا يتقدم بعد أن يجمل ثيابه ويحسن كلامه وجوابه فطعام الامراء تدعى اليه الخفلاء احتفالا ويتكفل بالوفود على العموم اكتفالا فهذا العهد مطابق لاحوال

وأبرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما استغرق حدّ الاكثار وأغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم أراذله (قال الحرث بن همام) فتبعته لانظر عرجة القوم وأكمل بهجة اليوم فعاج بهم الى سماط زينته طهاته وتناصفت في الحسن جهاته فحين ربع كل شخص في ربضته وطفق يرتع في روضته انسلات من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة الىّ ونظرة هجم بها طرفه علىّ فقال الى أين يابرم هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم

هذه المقامة (قوله أبرم) أى أحكم وسدد و (الختن) ولى الزوجة مثل الاب والاخ وابن العم فهم الاختان وكل شئ من قبل الزوج فهم الاحماء واحدهم حمامثل قفا وحمو مثل أبو وحم عمهموز والاصهار تجمعهما و (الخطبة) مراسلة المرأة للزواج و (النثار) ما نثر عليه من الدراهم وقد نثرت الشئ نثرا اذا رميت به متفرقا وأصحاب الزوج تدخلهم حمية عند ذلك فينثر كل واحد منهم من الدراهم ما أمكنه فتجمع ويشترى منها أنواع الاطعمة ولذلك قال (أغرى الشحيح بالايثار) أى حرضه على أن يتكرم و (استغرق) جاوز وبحدث ابن قتيبة عن أبى عثمان قال مررت بحضر قد اجتمع فيه خلق كثيرون فسألت بعضهم ما جمعهم فقال هذا سيد الحى تزوج منافاة فتكلم الشيخ فقال الحمد لله وصلى الله على رسول الله أما بعد فان الله جعل المناكحة التى رضيها فعلا وأنزلها وحيا سبب المناسلة وان فلانا ذكر فلانة وبذل لها من الصداق كذا وقد زوجته اياها وأوصيته بوصية الله فيها ثم قال هاتوا نثاركم فقلبت على رؤسنا غرائر التمر (ذلاذله) أى اطراف ثوبه والذلذل ما يلى الارض من أسفل القميص (اراذله) جمع أرذل وهو الدنىء والرذل والمرذل والرذيل الدون و (العرجة) التعريج ويقال ما عليه عرجة ولا تعريج أى اقامة وبهجة الشئ حسنه ونضارته و (عاج) مال و (السماط) كل مستو على نسق وصف الناس سماط وأراد به المائدة و (الطهاة) الطباخون من الناس (تناصفت) اعتدلت وأنصف كل جزء منها صاحبه والتناصف اعتدال الحسن (ربع) جلس يقال ربعت بالمكان أقمت به وربعت الحجر رفعته بيدى لانظر شدته وربع وقف وتحبس (ربضته) موضعه الذى يقعد فيه والربضة القطعة الغليظة من الثريد (يرتع) يأكل وفلان يرتع أى هو مخصب لا يعدم شيأ يريده (الروضة) موضع العشب وأراد بها ما بين أيديهم من الطعام (الزحف) الضرب والوثوب الى الشر وأراد أنه لما جلس كل انسان أن يأكل خشى هو ان جلس للاكل أن يغرم ويشتهر بانه طفيلى فيحتاج أن يتدافع وأن يتواثب مع صاحب الحانوت فى ثمن ما أكل ففر من ذلك والزحف مشى الاعمى (لفتة) نظرة بالتواء كأنه يلوى عنقه فينظر ولفت اليه لفتا والتفت صرف وجهه اليه و (هجم) دخل عليه بغتة (برم) بخيل وهو الذى لا يدخل مع القوم فيما دخلوا فيه من المغرم و (المعاشرة) ترك المخالفة فى الصحبة

فقلت والذى خلقها طباقا وطبقها اشراقا لاذقت لماقا ولاستت رقاقا أوتخبرنى أين مذب صبالك ومن أين مهب صبالك فتنفس الصعداء هرارا وأرسل البكاء مدرارا حتى اذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال لى أرعنى السمع

مسقط الرأس سروج * وبها كنت أموج * بلدة يوجد فيها * كل شئ ويروج
وردها من سلسبيل * وصحاريها مروج * وبنوها ومغانيـ * ـهم نجوم وبروج

(طباقا) جمع طبق أى هى طبق فوق طبق يعنى السماء و (طبقها) ملأها وعمها يقال طبق الغيم تطبيقا اذا أصاب بمطره جميع الارض (اشراقا) نوراوضوأ (لماقا) الاصمعى رحمه الله هو مايشرب فان أردت نقيه قلت ماذقت لماقا وأنشد

كبرق لاح يعجب من رآه * ولايشفى الحوائم من لماق

الحوائم العطاش وحكى يعقوب أن اللماق يصلح فى الاكل والشرب قال ابن كيسان هو الشئ اليسير من الطعام والشراب (استرقاقا) أكلت خبزا مرققا واللوس تتبع بقية الشئ الحلو فى فمك * ابن سيده لاس لوسا تتبع الحلاوة فأكلها وماذاق لوسا ولالواسا أى ذواقا ولايلوس كذا أى لايتناوله (أوتخبرنى) حتى تخبرنى (أين مذب صبالك) يريد أين ولدت فربيت صغيرا (مهب صبالك) مجى مريحك وأراد أين بلدك (الصعداء) التنفس يتوجع وهى من فعل المهموم (استنزف الدمع) استفرغه بالبكاء حتى انقطع ونزف وأنزفه أفناه بالبكاء (استنصت الجمع) أمرهم بالسكوت (مسقط الرأس) يريد الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ماولد (أموج) أتصرف وأتحرك والمائج المضطرب (يروج) بتعجل (وردها) ماؤها (السلسبيل) عين فى الجنة والسلسبيل الخمر و (المروج) المواضع المخصبة (مغانيهم) منازلهم (البروج) منازل القمر وأراد أنهم فى الحسن والرفعة كالنجوم وأن دورهم فى العلو والاستواء كالبروج وسبقه الحلوانى القيروانى الى هذا التشبيه فقال يتشوق الى القيروان بعد خرابها

ليت شعرى وليت حرف تمن * ربما علل الفؤاد السقيما
كيف ياقيروان حالك لما * نثر البين سلكك المنظوما
كنت أم البلاد شرقا وغربا * فعدا الدهر وشيك المرقوما
نحن أولادها ولكن عققنا * بعد أن لم نطق بها أن نقيما
دمن كانت البروج وكا * أقمرا فى بنائها ونجوما

وقال السرى يتشوق الى الموصل وكان بحلب

أمحل صبوتنا دعاء مشوق * يرتاح منك الى الهوى المومق
فتى أزور قباب مشرفة الذرا * فادور بين النسر والعيـ * ـوق

حبذا نفحة ريا * ها ومرآها البهيج * وأزاهير رياها * حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى * جنة الدنيا سروج * وان ينزاح عنها * زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ زحـ * ـزحني عنها العلوج * عبرة تهمي وشجو * كلما قر يهيج
وهموم كل يوم * خطبها خطب مريج * ومساع في التوجي * قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لما * حم لي منها الخروج

فاري الصوامع في غوارب أكمها * مثل الهوادج في غوارب نوق
محمرة الجدران ينفح طيبها * فكأنها مبنية بخلوق
حمر تلوح خلالها بيض كما * فصل بالكافور بين عقيق
كاف تذكر قبل ناهية النهى * ظلين ظل هوى وظل حديق
فتفرقت عبراته في خدّه * اذ لا مجير له من التفريق

وقال الثعالبي ما نظرت الى الصوامع مذ برزت من نيسابور الا ذكرت بيته فاري الصوامع واستأنفت العجب من حسن هذا التشبيه وبراعته (نفحة رياها) أي حركة رائحتها الطيبة (مرآها البهيج) منظرها الحسن (وأزاهير رياها) أنوار كداها وهي جمع أزهار وأزهار جمع زهر وهو النور (تنجاب) تزول ثم قال سروج هي الموضع الذي أرست به جنة الدنيا أي ثبتت فيه فكأنه قال جنة الدنيا هي سروج وسروج هذه بلد بقرى وعمارات وهي من بلاد الجزيرة وكورها المشهورة والجزيرة انقسمت قسمين ديار ربيعة وديار مضر وسروج من كور ديار مضر وهي ثغرية اذا كان للمسلمين قوة يملكونها واذا ضعفوا غلبهم الروم عليها وهي كثيرة الثلج والبرد (قوله ينزاح) يبعد (النشيج) البكاء (والزفرة) تنفس المهموم (زحزحني) نحاني (تهمي) تسيل (شجو) حزن (قر) سكن (يهيج) يتحرك (خطبها) أمرها (مريج) مختلط (مساع) مواضع تصرفه ويكون المسعى مصدرا بمعنى السعي (قاصرات) أي قصيرة وكذا استعمالها الان فعلها قصر واسم فاعلها قاصر فعيل مثل ظرف فهو ظريف (الخطو) جمع خطوة (عوج) معوجة (يومي حم) أي يوم موتي قدّر أراد ليت اني مت ولا أرى خروجي منها * أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي * جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من السعادة أن يطول عمر العبد وأن يرزقه الله الانابة وفي معنى وصفه سروج وبكائه عليها قال الحضرمي الاعمى يتشوق الى القيروان

أيا سقى الله أرض القيروان حيا * كأنه عبراتي المستهلات
كأنها الذة الجنات تربتها * مسكية وحصاها جوهريات

قال فلما بين يديه ووعيت ما أنشده أيقنت انه علامتنا أبو زيد وان كان الهرم قد أوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مؤاكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر أعشو الى شواظه

أرض أريضة أقطار مباركة * لله فيها براهين وآيات

وحدثني الفقيه أبو عبد الله بن زرقون في بستانه بطريانة أيام قراءتي عليه النوادر والتكامل وكان رحمه الله ذاكرا بالطريقة الادبية مع تميزه بالطريقة الفقهية فدارت بيني وبينه في احدى العشيات أنواع من المذاكرات في فنون أدبيات فاهتز رحمه الله وعش وأظهر السرور بي وأبو مثذ غلام ما بقل عذاري فقال لقد علمت أن بيني وبينك أخوة قلت وكيف ذاك يا سيدي فقال اني ولدت ببلدك شريش فزدت بالحديث غبطة واستزدت منه فقال لي ومع ذلك فثم قصة مستظرفة اعلم اني كنت اجتزت بشريش فافلا من العدوة مع الفقيه أبي بكر عبد الله بن العربي رحمه الله فلما صرنا في بطاحها وبين كرماتها وجنانها أخذ الفقيه أبو بكر يثني عليها بكل لسان على كثرة ما رآى من البلدان ويقول ان الاشياء التي جمعت فيها لا تكاد تجتمع في بلد من كثرة الزرع والضرع والزيت والعصير والملح وغير ذلك فقلت له أعلمت اني ولدت بها فقال لي أبو بكر أتقول أنت الآن

مسقط الرأس شريش (فقلت له مجيبا) وبها كنت أعيش

فقال أبو بكر بلدة يوجد فيها فقلت كل شئ ويريش

فقال أبو بكر وردها من سلسبيل فقلت وصحاريها عريش

ثم سرنا في طريقنا على قوافي السروجية فررنا بها شريشية وقطعنا بها الطريق ونحن لا نشعر فكانت أسرع عشية رأيت بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين بسنتين يحدثني على ابن العربي وابن عبدون الكاتب ونظرائهم في رياض كلها نزهة على نهر اشبيلية وهي أمامنا على بهجتها وجمالها مادحا لي ولبلدي ليدخل علي بذلك مسرة نسأل الله تعالى أن يبلغه غاية السرور في دار البقاء (قوله وعيت) أي حفظت (علامتنا) عالمنا المشهور بالعلم (أوثقه) ربطه وشده وقد تقدم هذا القبيل من الهرم في أخبار وأشعار حسان (مصافحته) معانقته ووضع كفي على كفه * ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرئ يصافح أخاه ليس في صدر واحد منهما على أخيه احنة لم تتفرق أيديهما حتى يغفر الله عز وجل ما مضى من ذنوبهما الاحنة الحقد (اغتنمت) حسبتها غنيمة (مؤاكلته) الاكل معه * ابن عمر رضي الله عنهما طعام السخي دواء وطعام الشحيح داء (ظلت) أي دمت قال الله تعالى الذي ظلت عليه عاكفا أي دمت عليه مقيما قال سيبويه رحمه الله أصله ظللت * الليث يقال ظل نهاره صائما ولا تقول العرب ظل الا لكل عمل بالنهار كما لا تقول بات الا لعمل بالليل (أعشو) أنظر بصر ضعيف (شواظه) ناره

وأحشو صدفتي من درر ألفاظه الى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

والشواظ لهب النار الذى لا دخان فيه (صدفتى) اذنى (نعب) صاح (البين) الفراق والغراب اذا صاح عندهم تشاءموا به وقد تقدم ذلك (مفارقة الجفن للعين) أى مسرعا بقدر ما تفتح عينك (من شرح المقامات للشريشى)

الباب السادس فى المراسلات والمنشآت

(وصية عبد الحميد الكاتب لطائفة الكتاب)

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا وان كانوا فى الحقيقة سواء وصرفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معائشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات أهل الادب والمروآت والعلم والرزانة بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فوقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن يكون حليما فى موضع الحلم فهيبا فى موضع الحكم مقداما فى موضع الاقدام محجاما فى موضع الاحجام موثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما للاسرار وفيا عند الشدائد عالما بما يأتى من النوازل يضع الامور فى مواضعها والطوارق فى أماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وأبدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه هممكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفسافها الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة